

الأكاديمية الأوروبية للتراث القبطي  
The European Academy for Coptic Heritage  
(TEACH)

أهمية الصلاة على الراقدين والصدقات التي تُعطى عنهم  
كما وردت في قوانين البابا أنناسيوس الثاني

**سؤال:** ورد إليّ سؤال في نهاية المحاضرة السابقة عمّا ذكرته قوانين البابا أنناسيوس الثاني بخصوص الصلاة على الراقدين، وأهمية الصدقات التي تُعطى عنهم. ووعدت بإجابة مفصّلة في المحاضرة التالية، وهي هذه المحاضرة.

- إنّ الثّفتين الرئيسيتين اللّتين تحدّثت عنهما قوانين البابا أنناسيوس الثاني بخصوص الراقدين في الإيمان هما:
- أنّ صلاة الأحياء من أجل المتقلين، تجعل الله يغفر خطاياهم، ولاسيّما الصلاة من أجلهم في القدّاسات في الكنيسة.
  - وأنّ الصدقات التي تُعطى للفقراء عن أرواح الراقدين تستدر رحمة الله عليهم، ليغفر لهم خطاياهم.

فكيف عاجلت هذه القوانين هذين الأمرين؟

في البداية يلزم أن نعرف أنّ السيّد المسيح له المجد تكلم عن غفران للخطايا في العالم الآتي، فيقول: «من قال كلمة على ابن الإنسان يُغفر له، وأمّا من قال على الرّوح القدس فلن يُغفر له، لا في هذا العالم ولا في الآتي» (متى ١٢: ٣٢، مرقس ٣: ٢٩، لوقا ١٢: ١٠). وقد رأى آباء الكنيسة وعلماءها، أنّ الرّب نفسه بهذا التّطرق الإلهي، قد فتح السّبيل إلى إمكانيّة المغفرة لبعض الخطايا في العالم الآتي.

وفي قول منسوب لديونيسيوس الأريوباغي (القرن الخامس الميلادي): ”إذا كانت خطايا المتوفى قليلة، فقد تجد منفعة بما يُعمل بعده. أمّا إذا كانت خطاياهم ثقيلة وباهظة، فقد أغلق الله الباب في مسعاه“<sup>(١)</sup>.

**أولاً: ما هي غاية صلاة الأحياء من أجل الراقدين؟**

يقول القانون رقم (٨٦): ”... رأوين بعدما ألقى من برّكة يعقوب أبيه، لأجل الخطيئة العظيمة التي صنعها، لما رقد مع سرّيّة أبيه“<sup>(٢)</sup>، وجدنا موسى قد خلّص نفسه، وأصعدها من الهلاك بعد موته، إذ يقول: «ليحي رأوبين ولا يموت»<sup>(٣)</sup>... موسى، حلّ اللّعة التي على رأوين، التي لم تكن لها مغفرة، من أجل أنه لم يكن قد وُضع ناموسٌ بعد... هذا قلناه: إنّ الحيّ يقدر أن يخلص الذين ماتوا من خطاياهم“.

فهل تسير قوانين البابا أنناسيوس الثاني في هذه الجزئيّة على نفس المسار التّقليدي للكنيسة في هذا الأمر؟

لقد صلّى القديس بولس الرّسول من أجل أنيسيفوروس الذي كان قد انتقل من هذا العالم، فيقول: «ليعطه الرّب أن يجد رحمة من الرّب في ذلك اليوم» (٢ تيموثاوس ١: ١٨). واليوم الذي يشير إليه الرّسول، هو اليوم الأخير، أي يوم المحيى الثاني. فالجزاء الأبدي يُرجأ إلى يوم الدّينونة العامّة، عند مجيء المسيح ثانية<sup>(٤)</sup>.

١- مقال للمنتخب نيافة أنبا غريغوريوس أسقف الدّراسات العُليا، في جريدة وطني بعنوان: ”هل في الفردوس والجحيم درجات؟“ بتاريخ ٢١ أكتوبر سنة

٢٠٠١م، ص ٢

٢- تكوين ٢٢: ٣٥ ؛ ٤٤: ٤

٣- انظر: خروج ١١: ٣٢ - ١٤ ؛ تثنية ٦: ٣٣

٤- انظر مثلاً: متى ٢٧: ١٣ - ٣٠، رومية ١: ٢ - ٦، ٢ تيموثاوس ٤: ٦ - ٨، ١ بطرس ٣: ١ - ٧، يعقوب ٥: ٧ - ١١

وفي قوانين الرُّسُل القبطية (٧:٦٩:١) نقرأ ما يجب على المؤمنين عمله في الولايم التي تُقام لتذكارات المنتقلين: "... وإذا دعيتم يوماً (لتذكارهم) فكلُّوا بترتيب، وخوف الله، كقادرين أن تُصلُّوا عن الذين انتقلوا من هذا العالم".

كما أن كلَّ نصوص الصَّلوات الليتورجية التي نُصلِّيها حتى اليوم، تؤكِّد وتؤيِّد ذلك. ففي أوشية الرَّاقدِين نُصلِّي الكنيسة إلى الرَّبِّ من أجل الذين انتقلوا قائله: "... وإن كان لحقهم توان أو تفريط كبشر، وقد لبسوا جسداً وسكنوا في هذا العالم. فأنت كصالح ومحِب البشر، تفضل عبيدك المسيحيين الأرثوذكسيين من مشارق الشَّمس إلى مغاربها، ومن الشَّمال إلى اليمين، كلُّ واحد باسمه، وكلُّ واحد باسمها، ياربُّ نِيحهم واغفر لهم، فإنه ليس أحدٌ طاهراً من دنس، ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض. فأما هم ياربُّ الذي أخذت نفوسهم، فنيحهم وليستحقوا ملكوت السموات".

وفي صلاة التَّرحيم في قُدَّاس القديس سيرايون أُسقِف توميس (القرن الرَّابع الميلادي) صديق البابا أثناسيوس الرِّسولي نقرأ: "نتوسَّل أيضاً من أجل كلِّ الذين قد رقدوا، الذين تذكارهم هو: (هنا تُذكر الأسماء) قُدَّس هذه النفوس، لأنك تعرف الكلَّ. قُدَّس كلَّ النفوس التي رقدت في الرَّبِّ، احسبهم مع كلِّ قوَّاتك المقدَّسة، وأعطهم موضعاً ومسكناً في ملكوتك".

وفي نفس خولاجي القديس سيرايون، توجد صلاة من أجل الميت والمنقول للدَّفن، تقول: "... نتوسَّل إليك من أجل رُقاد ونياح عبدك هذا، (أو عبدتك هذه)، نِيح نفسه وروحه في مراعيك في مواضع الرَّاحة مع إبراهيم واسحق ويعقوب وجميع قديسيك. أمَّا الجسد، فأقمه في اليوم الذي حدَّدته كمواعيديك غير الكاذبة، لكي تعطه أيضاً ميراثاً كاستحقاقه في مراعيك المقدَّسة. لا تذكر زلَّاته وخطاياها، واجعل أن يكون خروجه سلامياً ومباركاً. اشفِ أحران المحزونين بروحك المعزي، وامنحنا جميعاً نهايةً صالحة بابنك الوحيد يسوع المسيح، الذي به لك المجد والقُدرة في الرُّوح القُدس، إلى آباد الدهور" آمين.

وفي أوشية القرايين، نُصلِّي الكنيسة قائله: "أذكر ياربُّ الذين قدَّموا لك هذه القرايين المقدَّسة، والذين قدَّمت عنهم، والذين قدَّمت بواسطتهم، أعطهم كلَّهم الأجر السَّمائي". لذلك فإنَّ إقامة قُدَّاس في يوم نياحة المنتقل، أو في تذكاراته التي يعملها لها أقرباؤه بالجسد أو أحباؤه، تعيينه وتفيده، لأنَّ القرايين المرفوعة على المذبح باسمه، تؤهِّله لقبول طلبة الكنيسة لأجله لكي يعطيه الرَّبُّ الأجر السَّمائي. وهذا هو نفس ما يُصلِّيه الكاهن في القُدَّاس الإلهي بحسب النَّص المعروف لنا اليوم: "أولئك ياربُّ الذين أخذت نفوسهم، نِيحهم في فردوس النِّعيم".

ولكن ما هو معنى "نِيحهم في فردوس النِّعيم"؟ لأنهم إن كانوا أصلاً في فردوس النِّعيم، فما معنى "نِيحهم" هنا؟ يجيب على هذا التساؤل أقدم نص قبطي صعيدي للقُدَّاس الباسيلي ويعود إلى القرن السَّابع الميلادي، ومحفوظ في مخطوط يُسمى "مخطوط دوريس" يقول: "أولئك نِيحهم عندك". ثمَّ حدث تطوُّر للنَّص حين استبدلت كلمة "عندك" بتعبير "في ذلك الموضع". وفي مخطوط الفاتيكان رقم (١٧ قبطي/ ١٢٨٨م) وهو أقدم مخطوط خولاجي قبطي عربي كامل للقُدَّاسات القبطية الثلاثة، نقرأ تطوُّراً آخر، حيث يقول: "أولئك ياربُّ نِيحهم في ذلك الموضع"، حيث ظهرت كلمة "ياربُّ". ولكن هذا التطوُّر، لم يكن عاماً في كلِّ الكنائس آنذ، لأنَّ ابن سباع في القرن الثالث عشر الميلادي - وهو نفس زمن مخطوط الفاتيكان السَّابق ذكره - يورد هذا النَّص الليتورجي بدون كلمة "ياربُّ"، حيث يذكر: "الذين أخذت نفوسهم، نِيحهم في ذلك الموضع"<sup>(٥)</sup>. وأمَّا التطوُّر الأخير والذي نراه اليوم فقد أضيفت عبارة قبل تعبير "في ذلك الموضع" هي: "في فردوس النِّعيم، في كورة الأحياء، إلى الأبد، في أورشليم السَّمائية!!!"<sup>(٦)</sup>.

أمَّا النَّص اليوناني لهذا الجزء بحسب مخطوط (رقم ٣٢٥ يونانيات) بالكنيسة الأهلبيَّة بباريس، والذي نشره العالم الفرنسي رُنودو E. Renaudot فهو: "أولئك ياربُّ الذين أخذت نفوسهم، نِيحهم وأهلهم لملكوت السموات".

٥- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، الجوهرة النَّفيسة في علوم الكنيسة، حققه ونقله إلى اللاتينية الأب فيكتور منصور مستريح الفرنسي، مؤلفات المركز الفرنسيكاني للدراسات الشَّرقيَّة المسيحيَّة، القاهرة، ١٩٦٦م، الباب ٨٣، ص ٢٥٥  
٦- لا يفوت الدارس عدم دقة التَّعبير الذي افتقر إليه النَّص القبطي، حيث لم يفرِّق بين فردوس النِّعيم، وبين أورشليم السَّمائية، أي ملكوت السموات. ومن أجل هذا، يذكر القمُّص عبد المسيح صليب البراموسي (١٨٤٨-١٩٣٥م) في خولاجي سنة ١٩٠٢م (ص ٣٨١، حاشية رقم ١): "أنه في كثير من النُّسخ القديمة، تُركت عبارة: "في فردوس النِّعيم ... أورشليم السَّمائية".

وهو نفس النَّص الذي نقرأه في الطَّلْبَة الختامية للسَّجْدَة الثَّالِثَة، في طقس صلاة السَّجْدَة في عيد العنصرة، والتي بدايتها: ”الينبوع الفاضل كلَّ حين، معطي الثَّور ومانح الحياة...“، وهو النَّص الذي نجده في مخطوط ”المجموع المبارك“<sup>(٧)</sup> والذي اعتني القس أبو البركات بن كبر (١٣٢٤م) بالصَّرْف على نساخته، حيث نقرأ:

”أيها الرَّبَّ الإله، تحنَّ بمراحمك الكثيرة على عبيدك الأحياء والأموات. يا خالق كلِّ الطَّبَّاع البشريَّة، لأنك كوَّنتهم ممَّا لم يكن، وأيضاً تحلِّهم<sup>(٨)</sup>، وتنقلهم إلى ذاك الموضع.

ونقرأ في الكتاب الثَّامن من كُتُب المراسيم الرَّسُولِيَّة (٨:٤١:٢) نصَّ الصَّلوات الليتورجيَّة التي تُقال من أجل الرَّاقدين<sup>(٩)</sup> في المسيح. فيقول الشَّماس<sup>(١٠)</sup>: ”لنتوسَّل أيضاً من أجل إخوتنا الذين تبيَّحوا في المسيح. لنتوسَّل من أجل رُقَاد<sup>(١١)</sup> فلان، أو فلانة“، لكي يقبل الله مُحب البشر، نفسه، ويتغاضى عن كلِّ خطيئة له، بإرادة أو بغير إرادة. وليكن رحيماً عطوفاً<sup>(١٢)</sup> (عليه)، ويعطيه نصيبه في موضع الأتقياء، ويريجه في أحضان إبراهيم وإسحق ويعقوب<sup>(١٣)</sup>، مع كلِّ الذين أرضوه منذ البدء، وعملوا إرادته، حيث لا يكون فيما بعد حُزن وكآبة وتنهُد<sup>(١٤)</sup>. لننهض ولنستودع أنفسنا، وبعضنا البعض، لله الأبدي بالكلمة الذي هو منذ البدء“<sup>(١٥)</sup>.

ويُصَلِّي الأُسقف قائلاً: ”أنت الآن أيضاً، اطَّلَع على عبدك هذا الذي اخترته وقبلته لنصيب آخر، وسامحه<sup>(١٦)</sup> إن كان قد أخطأ بإرادة أو بغير إرادة، وأرسل له ملائكة بشوشين، أعطه نصيباً في أحضان البطارقة والأنبياء والرُّسُل، وكلِّ الذين أرضوك منذ البدء، حيث لا كآبة وحُزن وتنهُد<sup>(١٧)</sup>، بل في موضع راحة الأتقياء، وأرض المستقيمين المكرَّسة لك. والتي (يسكن) فيها الذين ينظرون مجد مسيحك<sup>(١٨)</sup>، الذي به لك المجد، والكرامة، والتَّجليل، والشُّكر، والسُّجود، في الرُّوح القدس إلى الأباد آمين“ (المراسيم الرَّسُولِيَّة ٨:٤١:٥).

وهي هي ذات روح الطَّلْبَة التي تُصَلِّيها الكنيسة على المنتقل قبل مواراته التُّراب. فيقول الكاهن<sup>(١٩)</sup>: ”هذه النَّفس التي اجتمعنا بسببها، ياربُّ نيِّحها في ملكوت السَّموات. افتح لها ياربُّ أبواب السَّماء، واقبلها إليك كعظيم رحمتك... ولتستحق أن تنظر النَّعيم، ولتدخلها ملائكة الثَّور إلى الحياة، ولتتكى في حضن آبائنا، إبراهيم وإسحق ويعقوب. اغفر لها خطاياها التي سبقت فصنعتها بمعرفة وبغير معرفة معاً، لأنك أنت ياربُّ تعرف ضعف البشريَّة ونقصها... إلخ“.

وهو ما نجده أيضاً عند ابن سباع في القرن الثالث عشر الميلادي<sup>(٢٠)</sup>.

يقول القدِّيس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م): ”نؤمن بأنَّ التَّوسُّلات التي تُرفع من أجل النَّفوس أثناء تقديم الذَّبيحة المقدَّسة المخوفة جداً، لها منفعة عظيمة“<sup>(٢١)</sup>.

٧- وهو المخطوط رقم (قبطي ١١٢) (بورجيا) (١٩٣) ورقة محفوظ الآن بمكتبة الفاتيكان. ويعود تاريخ نساخته - كما ورد في ورقة (١٧٣ج) - إلى سنة ١٠٢٤ شهداء/ ١٣٠٨ ميلاديَّة. ويجوز كثيراً من نصوص الصَّلوات الليتورجيَّة التي تمارسها الكنيسة القبطيَّة حتى إلى يومنا هذا.

٨- ”المجموع المبارك“ لابن كبر: ”تمتيمهم“.

٩- ἀναπαύω للكلمة هو ἀναπαύω (أنا بافو) ويعني: ”يريح - يوقف - ينهي أمراً - يُنِّح“. والإسم هو ἀνάπαυσις (أنا بافيسيس) ويعني: (راحة - رُقَاد - نوم - هدوء - سكون). إذا فالكلمات الآتية هي مترادفات: (الرَّاقدون - المتنيِّحون - النَّائمون - الهادئون). ولكن الكلمة اختصَّت في المفهوم الكنسي، بمعنى الرَّاقدين أو المتنيِّحين.

١٠- انظر: المراسيم الرَّسُولِيَّة ٨:٤١:١

١١- κοίμησις أي ”نوم - رقاد“. أي النَّوم العادي أو رُقَاد الموت. واستخدمت هذه الكلمة لتصف موت لعازر، كما تحدَّث عنه الرَّب. أمَّا التَّلَامِيذ، فظنُّوا أنه يتكلَّم عن رُقَاد النَّوم. (انظر: يوحنا ١١:١٣).

١٢- انظر: المراسيم الرَّسُولِيَّة ٨:٣٢:١٩

١٣- انظر: لوقا ١٦:٢٢

١٤- إشعياء ٣٥:١٠

١٥- يوحنا ١:١

١٦- انظر: المراسيم الرَّسُولِيَّة ٨:٣٣:٣

١٧- إشعياء ٣٥:١٠

١٨- يوحنا ١٧:٢٤

١٩- صلوات الخدمات في الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة، مكتبة المحبَّة بالقاهرة، ص ١٨٠

٢٠- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، (الباب ٨٤، ص ٢٨١).

وهو نفس ما يقوله القديس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م) بخصوص التذكارات التي تُقام للأموات، بإنها توفّر لهم ”ربحاً عظيماً ومنافع جمة“<sup>(٢٢)</sup>.

أمّا كتاب الرُتب الكنسيّة المنسوب لديونيسيوس الأريوباغي، والذي يعود إلى القرن الخامس الميلادي فيقرّر بأن الصلوات عن الرّاقدين ”تمحو الأذناس التي لطّخت الطّبيعة البشريّة الفاسدة“<sup>(٢٣)</sup>.

واضحٌ إذًا، أنّ الكنيسة منذ البداية كانت - ولا زالت - تُصلي من أجل الرّاقدين، وترفع الصلوات والقُدّاسات من أجلهم، سواء في يوم نياحتهم، أو في أيام تذكاراتهم. وذلك من أجل راحة نفوسهم، وغفران خطاياهم، برحمة ربّنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، الذي له المجد إلى الأبد.

ولكن بحسب الطّقس، فالقُدّاس الذي يُقام على روح المنتقل، أو صلاة التّرحيم الجهاريّة باسمه في القُدّاس، لا يكون في يوم الأحد أو في أحد الأعياد السيديّة<sup>(٢٤)</sup>.

### بربتوا الشّهيدة تُخلص أباها الذي مات بصلاتها<sup>(٢٥)</sup>

أحتم هذا الجزء بقصّة مؤثرة عن الشّهيدة بربتوا<sup>(٢٦)</sup> Perpetua من قرطاجنة بشمال إفريقيا في زمن اضطهاد الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥م). فعندما اقتديت مع آخرين إلى المحاكمة بسبب اعترافها بأنها مسيحيّة، وحُكم عليها - مع آخرين - بإلقائها للوحوش البريّة، حيث أُلقيت لثور هائج أخذ يضربها بقرونه حتى استشهدت، كانت قبل استشهاده قد صلّت لأجل أخيها بالجسد دينوقراط Dinocrates الذي كان قد مات إثر مرض السرطان الذي أصابه، وكان عمره سبع سنوات.

فتقول بربتوا:

حينما كنّا جميعاً نُصلي، فجأة، في منتصف صلواتنا، ورد على خاطري اسم دينوقراط Dinocrates ودُهشت لأن اسمه لم يخطر ببالي أبداً حتى ذلك الحين. وشعرت بالحزن لأنني تذكرت محنته، وشعرت على الفور بأنه يجب عليّ أن أطلب عنه، فبدأت وبدون تأخير أن أتضرع من أجله بجديّة، وأبكي بأنين إلى الرّب.

وبينما أنا نائمة ظهرت لي رؤيا رأيت فيها دينوقراط يخرج من مكان قائم، حيث كان هناك مع كثيرين آخرين، وكان جافاً وعطشاً جدّاً، ووجه شاحب قذر، وعليه الجرح الذي أصاب وجهه عند وفاته. وكانت هناك هوة كبيرة بيني وبينه، حتى أنه لا يمكن لأيّ منا الاقتراب من الآخر. وعلاوة على ذلك، كانت هناك برّكة مملوءة بالماء، حافتها أعلى من قامة الصّي، فلم يستطع دينوقراط أن يشرب الماء منها. فاستيقظت وعرفتُ أنّ أخي يعاني.

ولكنني كنتُ واثقة من أنّ صلاتي ستساعده في معاناته. فصرتُ أصلي من أجله كلّ يوم، حتى جئنا إلى سجن المعسكر، حيث كنّا سنصارع في ساحة المعسكر.

وفي يوم ميلاد جيتس قيصر - وهو يوم المصارعة - صليتُ من أجل أخي ليل نهار، بأنين وبكاء حتى يُمنح لي. وفي اليوم الذي بقينا فيه مكبّلين بالقيود، رأيتُ في رؤيا، أنّ ذلك المكان الذي كنتُ أراه في السّابق مظلماً، أصبح الآن مشرقاً، وكان دينوقراط بجسده النّظيف يرتدي ملابس جيّدة، ومكان الجرح ندبة بسيطة، وتلك البرّكة التي رأيتها من قبل، صارت حافتها منخفضة حتى سرّة الصّي. وكان واحد يسحب الماء من البرّكة بلا انقطاع، وعلى حافتها كأس مملوءة بالماء، اقترب منها دينوقراط وابتدأ يشرب منها، ولم تسقط الكأس. وعندما ارتوى، ابتعد عن الماء ليلعب بفرح على طريقة الأطفال.

22- John Chrysostom, *On Philipians* 75.8 ; PG., 62, 253.

23- Dionysius the Areopagite, *On the Church Hierarchy* 7:6-7 ; PG., 3,561.

٢٤- وهذه نقطة لن أتعرض لها الآن بالتفصيل. ولكن يمكن الرجوع إلى المصادر التّالية عنها:

دكتور وليم سليمان قلادة، الدّسقوليّة - تعاليم الرُّسل، الطّبعة الأولى، ١٩٧٩م، ص ٤٣٣ ؛ القانون رقم (٣٣) من قوانين هيبوليتس القبطيّة في القرن السّادس الميلادي، وهي المعروفة بالقوانين المصريّة ؛ القانون رقم (١٥) من قوانين البابا حريستوذولوس (١٠٤٦-١٠٧٧م) ؛ القانون رقم (١٤) من قوانين البابا غريال الثاني (بن ثريك) (١١٣١-١١٤٥م).

25- Cf. *Ante-Nicene Fathers*, vol. III, *The Passion of the Holy Martyrs Perpetua and Felicitas*, Chapter II.

٢٦- كانت بربتوا مع رفيقة لها اسمها فليسيّاس Felecitas وهي أمة، وكانا كلاهما ضمن الموعوظين المهيبين للعماد حين قبض عليهما.

واستيقظتُ وفهمتُ أنه قد تمَّ نقله من مكان العقوبة.

## ثانياً: ما هي غاية توزيع الصدقات على الفقراء من أجل أرواح الرّاقدين؟

تعلمنا النُّصوص الكتابيَّة وأيضاً قوانين الكنيسة وتقليدها أهميَّة الصدقة التي نقدّمها للفقراء وكيف تفيد أرواح الرّاقدين. فمن جهة النُّصوص الكتابيَّة، نقرأ:

«الصدقة تنجّي من كلِّ خطيئة، ومن الموت، ولا تدع النَّفس تصير إلى الظُّلمة» (طوبيا ٤: ١١).

«الصدقة تنجّي من الموت، وتمحو الخطايا، وتؤهلّ الإنسان لنوال الرِّحمة والحياة الأبدية» (طوبيا ١٢: ١٩).

«الماء يُطفئ النَّار الملتهبة، والصدقة تكفر الخطايا» (سيراخ ٣: ٣٣).

«أغلق على الصدقة في أحاديك، فهي تنقذك من كلِّ شر» (سيراخ ٢٩: ١٥).

«أعطوا ما عندكم صدقة، فهذا كلُّ شيء يكون نقياً لكم» (لوقا ١١: ٤١).

«بيعوا ما لكم وأعطوا صدقة، اعملوا لكم أكياساً لا تفنى، وكنزاً لا ينفد في السَّموات...» (لوقا ١٢: ٣٣).

ولكن لا يفوتنا أبداً أنّ الصدقة بمفردها بدون المحبّة والحياة التّقويّة الثّابتة في الرّب، لا تفيد شيئاً. وكلّنا يعرف قول نشيد الأنشاد (٧: ٨): «إن أعطى الإنسان كلَّ ثروة بيته بدل المحبّة، تُحتقر احتقاراً».

ويعلمنا آباء الكنيسة، أنّ توزيع الصدقات على الفقراء ترحماً على أرواح المنتقلين إلى السَّماء، تكون بوفرة، إذ تصفها قوانين البابا أثناسيوس الثّاني بعبارة "صدقات كثيرة" (القانون رقم ١٦). كما تصفها قوانين البابا خريستوذولوس بـ "صدقات بمقدار الطّاقة" (القانون رقم ١٥). وكانت هذه العادة معروفة حتى عند الرُّهبان أيضاً؛ فمن سيرة أبنا أرسانيوس معلّم أولاد الملوك، نعرف أنه أوصى تلاميذه قائلاً: "لا تقيموا على أعالي"، أي يولموا وليمة محبّة للفقراء، ترحماً على روحه بعد انتقاله.

وهو نفس التّعليم الذي نقرأه في قوانين البابا أثناسيوس الثّاني (٤٨٩-٤٩٦ م).

فيقول القانون رقم (٨٥): "قد يكون غني قد مات ولده، وأنّ أباه يعطي عنه مالاً كثيراً، ويعطي أيضاً لبيت الرّب نذوراً كثيرة من أجل خلاص نفس ابنه. فبالحقيقة إنّ الله يقبلها منه، ويخلصه من خطاياها، بسبب تحنّنه على المساكين. فإنّ سليمان يقول: «إنّ خلاص نفس الإنسان من غناه»".

ويواصل البابا أثناسيوس الثّاني شرحه لذلك الأمر، فيقول في القانون (٨٦) عن أهميَّة الصدقة التي تعطى للمساكين على روح المتوفى، فيقول: "لعلّ قائلاً يقول: 'إني فقير، والغني لما استطاع أن يعطي عن ابنه خلص نفسه، وأنا مسكين لا أستطيع أن أصنع هذا'. فأقول له: 'لولا أنّ ذكر الموت قد أحزن قلب ذلك الغني الذي صنع هذا، لما فرّق أمواله عن ابنه الذي مات. لأنّ موت ابنه الذي كان كريماً عنده، صار له مثل معلّم حكيم، حتى عرف إرادة الله، وأعطى المساكين الآن. وعندما كان ابنه في الحياة، لم يعرف، ولم يعط هكذا. من أجل هذا، لا يُحتج بهذه الأمور هكذا لأجل الخلاص، لأنّ الخلاص ليس هو بكثرة المقتنيات، ولكنّه بالفكر الصّالح الذي قبله من أجل ابنه. وأنت إن كنت فقيراً وتريد أن تخلص نفسك الذي مات، اتّخذ لك فكراً صالحاً هكذا، وأنت تخلص نفسك ونفس الميت. فإنه ليست المغفرة بكثرة الأموال، لكنّها كائنة بفعل الخير. ربما لا تستطيع أن تعطى المساكين، ولكنك تستطيع أن تصير رجُل الله في الكنيسة. لأنّ كثيرين خدموا قبور أولادهم بجهالة. فإن كنت لا تقدر أن تقوت المساكين، لكنك تقدر أن تحفظ قُدّاسات البيعة، وتطلب عنك وعن ابنك. إن كنت تحبّه اصنع هذا، لأنّ الغني إنما أعطى هذا جميعه عن ابنه، لأنه يحبّه. وأنت قدّم طلبتلك لله عن ابنك، فإنك تقدر بالحقيقة أن تخلص نفسه حيّة".